

مقصد حاجيات حفظ النسل من جانب الوجود

الباحث: محمد عبدالستار عبدالعزيز حمد الجنابي

.جامعة سامراء - كلية العلوم الإسلامية - قسم الشريعة

us4200402028@uosamarra.edu.iq

Abstract

The content of the saying of the Prophet urges to increase the offspring so that the number of Muslims increases, This increase doubles the reconstruction and reform on the Earth, And God created us for the sake of reconstruction and reform globe, The large number of Muslims increases their strength and ambition, And this. This is the purpose of the hadith, according to the Prophet, The purpose of the command of the Prophet It is a sacred purpose The origin of it is the large number of Muslims so that they worship God a lot, And they unite God, The order of the guardian is taken into account, If he ordered to breed for the people of the country, This is a valid purpose that serves the public interest, The saying of the Prophet indicates that in the Hereafter the Prophet boasts about the abundance of his nation, Because he is the prophet of mercy and he will intercede for his nation on the Day of Resurrection.

الملخص

البحث يتضمن المقصد الشرعي لحديث نبي الرحمة (ﷺ)، في مفاد تكاثر المسلمين الذي أمر به رسول الرحمة (ﷺ)، وبين معانيه الدنيوي والآخروي، في حفظ النسل وبقاء النوع البشري، والأحكام المترتبة عليه، المستنبطة من القرآن والسنة، ويبحث محتواه على زيادة النسل ومن ذلك تناط المصلحة في كثرة سواد المسلمين، ومنها تزايد العمران في الارض وهو المقصد العظيم الذي خلقنا الله وأمرنا به، ويضاف الى ذلك، أن قوة الشوكة لدى المسلمين هي مقصد من مقاصد الحديث الدال على التكاثر، والمقصد الآخر أن الله (جل جلاله) يجب أن يعبد ويوحد من قبل عباده، فالتكاثر للمسلمين يعد زيادة في العبادة والتوحيد لله، وأن طاعة ولي الأمر إذا أمر بالتكاثر لتزايد السكان فهذا يدخل أيضاً في مقصد الحديث الذي يحث على التكاثر.

أما مقاصد الحديث الآخروية، فمنها مباحاة النبي (ﷺ) بأتمته وهو أعظم مقصد، لأنه مكرمة لهذه الأمة المرحومة الداخلة بشفاعته (ﷺ).

المقدمة

حمداً لله الخالق الذي قضى عدل، ووهب فأجزل، وأعطى فأذهل، وغفى فأجمل، والصلاة والسلام على خير من أقام حدود الله كما أنزل، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والسائرين على نجه الأكمل.

أما بعد:

فان حاجي حفظ النسل غاية تتعلق في حياة الناس ورفع الحرج والمشقة عنهم، ولأنها تخص ذريتهم، لذلك قررت الشريعة فيها تشريعات وأحكام، وفق ضوابط وشروط بينها العلماء، إذ هي من الأمور التي تكمل الدين وتكثر سواد المسلمين، وهذا ما دعاني الى اختيار البحث في هذه الغاية الجميلة والبحث الموسوم: **(مقصد حاجيات حفظ النسل من جانب الوجود المتجسد في قول نبي الرحمة ﷺ):**

"تناكحوا، تكاثروا، فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة" لما في الموضوع الموسوم بالعنوان أعلاه من أهمية في حياة كل المسلمين بعد أن تفشى الركون الى العزوف عن الزواج في المجتمع وانواع المهلكات للنسل التي ادت الى فساد حياة الناس وزعزعة العقل عن سلامته فقد أحاطت الأخطار الفكرية التي أصبحت تغشى المسلمين في كل مكان، فقدمت هذا النتاج المتواضع رغبة مني مساهمة لعرض مضمون بحثي هذا وتبيان مخاطر واقعة ومعالجتها إزاء ذلك لحفظ حياة المجتمع ونسلهم، وخدمة للشريعة الإسلامية، فكان اختياري للكتابة في هذا الموضوع المهم لعل الله يجعلني من الداعين الى دينه وحفظ شريعته والعمل بها، ويكتب لي ولوالدي الأجر والثواب.

وقد اقتضت الخطة لبحثي المقدم بين يديكم ان تكون من المقدمة ومبحث بمطلبين كما يأتي:

تناولت في المطلب الأول: محورين، الأول: الحديث الذي يحث على التكاثر والتناسل والثاني: معنى الحديث الإجمالي الحاث على التكاثر مستنبط من كتب شروح الحديث.

وذكرت في المطلب الثاني: محورين: تطرقت في المحور الأول: مقصد الحديث، وأشارت في المحور الثاني: الى مراعاة أمر ولي الأمر إذا كانت فيه مصلحة للعباد في تكثير النسل وتحديده.

فكلمي أمل أن يكون بحثي حقق غرضاً منشوداً وغاية حميدة لخدمة الإسلام ونفع المسلمين، فان نطقت بالصواب فهذا منة الله وفضله وتوفيقه عليّ، وأن اخطأت نفسي فإن النفس أمارة بالسوء إلا أن تشملها رحمة ربي، وحسبي أن بذلت جهداً ما في وسعي، ورحم الله أعاني وصحني ودلني على عثراتي واهدى إلي من عيوب التي غفلت عنها أو علمتها، سائلاً مولى العرش العظيم أن يمن علينا بتوفيقه والسداد في الرأي لي ولمن قرأ هذا البحث، أو صحح محتواه لينفعنا بلمسته الكريمة عسى ربنا أن يجعله في ميزان حسنات والكرم منه سبحانه ويكفر به سيئاتنا جميعاً.

وآخر ما ندعوا أن لله الحمد مستحق الحمد، وأزكى صلاة الله وأتم تسليمه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه نجوم الهداية أجمعين. الباحث

المبحث الأول

حاجيات حفظ النسل من جانب الوجود والحديث ومقصده ومراعاة أمرولي الأمر فيه

إن حاجيات حفظ النسل ترتبط بالزواج الذي هو سبب في تزايد النوع البشري، وحث عليه شرعنا الحنيف وأمر به، وبين الشاطبي في كتابه الموافقات تفصيلاً بأن العادات راجعة إلى حفظ النفس البشرية والعقل وهي من جانب الوجود، كتناول الأكل بأنواعه والمشروبات، والمسكونات، والملبوسات، أما المعاملات راجعة إلى حفظ النسل البشري والمال من جانب الوجود، ومن أهم هذه المعاملات الزواج وهو معاملة معنوية مادية، وإلى حفظ النفس البشرية والعقل أيضاً، أما العادات، والجنايات تتضمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترجع بمقتضاها إلى حفظ الدين والنفس والمال والنسل والعقل من جانب عدم^(١).

المطلب الأول

الحديث الذي يحث على التكاثر والتناسل والمعنى الإجمالي له

أولاً الحديث:

قال النبي الأكرم محمد (ﷺ): (تناكحوا، تكاثروا، فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط، ينكح الرجل الشابة الوضيئة من أهل الذمة، فإذا كبرت طلقها، الله الله في النساء، إن من حق المرأة على زوجها أن يطعمها، ويكسوها، فإن أتت بفاحشة فيضربها ضرباً غير مبرح)^(٢).

وقال (ﷺ): (تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة)^(٣).

(١) ينظر: الموافقات: الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغزنائي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م / ٢ / ١٩-٢٠.

(٢) مصنف عبد الرزاق الصنعاني ويسمى: المصنف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي - الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ، باب: وجوب النكاح وفضله: ٢٣٧ / ٥، برقم: ١٠٣٩١؛ ومعرفة السنن والآثار: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُوْجْردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلعي، الناشر: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق - بيروت)، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة)، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، باب الترغيب في النكاح: ١٠ / ١٧.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م: ٢١ / ١٨٥، برقم: ١٣٥٦١؛ وشعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُوْجْردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، محققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومبي - الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومبي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، فصل في الترغيب في النكاح لما فيه من العون على حفظ الفرج: ٧ / ٣٤٠، برقم: ٥٠٩٩.

وقوله (ﷺ): (تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم)^(١).

وفي رواية الترمذي قال: أن نبي الرحمة (ﷺ) يقول: (إِنِّي مُكَاتِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ فَلَا تَقْتَبِلُنَّ بَعْدِي)^(٢).

ثانياً: معنى الحديث إجمالاً:

"تزوجوا أي بمقتضى ما أمرت الشريعة الغراء الودود"؛ أي: التي تشتد محبتها لبعلمها وتتودد له وتصبو له، "الولود"؛ أي: التي من أقاربها كثرت ولادتهن، وإنما تقيد الأمر بهذين الأمرين؛ لأن المرأة إذا لم تكن ودوداً لم ترغب في زوجها ولم يرغب فيها زوجها، وإذا لم تكن المرأة ولوداً لم يحقق الغرض المطلوب، وهو تكثير المسلمين بكثرة التناسل والتوالد وتعرف ولوداً بأمرين: أما أن تكون ثيب فشوهدها ولوداً أو قياساً على قريباتها كالعمة والحالة والأخت والأم فهذا تعرف ولوداً والله أعلم، "إفني مكاثر بكم"؛ أي: مباهي ومفاخر بسببكم وكثرة سوادكم "الأمم" بكثرة الأتباع في النسب والحسب^(٣).

قال نبي الرحمة (ﷺ): ((تزوجوا الودود الولود؛ إفني مكاثر بكم الأمم)) أي: إن لم تتزوجوا من ترضون من صح دينه وحسن خلقه تحدث زعزعة وفتنة في الأرض وفساد جم وعريض، والفساد خروج الشيء عن حالة اتزانه واستقامته، وتعطل المنفعة والمصلحة التي يتضمنها الزواج، والفساد هو نقيض الصلاح فلم يتحقق الحصول على الحالة النافعة بسبب الفساد الناشئ بترك الأوامر الإلهية الربانية وأوامر نبي الرحمة (ﷺ) التي فيها كمال المصلحة لكافة الخلق، والفساد الواقع في الأرض هو أساس للحروب وفتن الشيطان التي تقع بين الأفراد والمجتمعات؛ لأن في ذلك فساد الأرض وانتفاء الحياة بفقد الاستقامة وعدم حفظ أحوال الناس وتملك الزروع وتنعدم المنافع الدينية والدنيوية^(٤)، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَكَئِي فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾^(٥).

والحديث يهتم وجهين: أحدهما: أنكم إن لم ترغبوا فيمن له الدين المرضي والخلق الحسن الموجبان لصلاح الأرض واستقامتها، ورغبتكم في مجرد الحسب والمال الجالبين للطغيان المؤدي إلي البغي والفساد في الأرض وبذلك قال تعالى ذاماً لأخلاق المنافقين:

(١) سنن أبي داود: باب: في تزويج الأبكار: ٣/ ٣٩٥، رقم: ٢٠٥٠؛ والمستدرک علی الصحیحین للحاکم، کتاب النکاح: ٢/ ١٧٦، رقم: ٢٦٨٥؛ وحلیة الأولیاء وطبقات الأصفیاء: ٣/ ٦٢.

(٢) سنن ابن ماجه: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، باب لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض: ٢/ ١٣٠٠، رقم: ٣٩٤٤؛ وسنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سؤدة بن موسى بن الضحاک، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م: ١/ ٦، رقم: ٢.

(٣) ينظر: شرح مصابيح السنة للإمام البغوي: محمد بن عزة الدين عبد اللطيف بن عبد العزيز بن أمين الدين بن فرشتا، الرؤمي الكرمانی، الحنفی، المشهور بـ ابن الملك (ت: ٨٥٤ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، الناشر: إدارة الثقافة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م: ٣/ ٥٤٣.

(٤) ينظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: ٧٤٣هـ) تحقيق: د. عبد الحميد هندايوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م: ٧/ ٢٢٦٣.

(٥) البقرة: ٢٠٥.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١﴾ وثانيهما: هو إن لم تزوجوا الذي ترضون خلقه ودينه، بل زوجتم صاحب المال والجاه كما هو طمع أهل الدنيا، بهذا سيبقى أكثر النساء عانسات بلا زواج وكذلك الرجال سيبقون عازبين بلا زوجات، فيكثر الفساد وينتشر الزنا ويلحق العار بالأولياء وتدفعهم الغيرة الى شن الشحنات والافتتال والفوضى، وتهمج الفتن وتعم القطيعة بسبب فقدان الدين والخلق وارتقاء اهل المال بما لهم على أهل الخلق والدين وهذه أشر الأمور التي تقع بين المسلمين^(٢).

وفي الحديث دليل لملك فإنه يقول: لا يراعى في الكفاءة إلا الدين وحده، ومذهب الجمهور أنه يراعى أربعة أشياء: الدين، الحرية، النسب، الصنعة؛ فلا تزوج البنت أو الثيب المسلمة من كافر، ولا البنت أو الثيب الصالحة من الفاسق، ولا الحرة من العبد، ولا المشهورة في نسبها من الخامل، ولا بنت التاجر أو لمن له أي حرفة طيبة ممن له عمل وحرفة دنيئة وخبيثة أو مكروهة، فإن رضيت المرأة بالزواج أو وليها وافق، بغير كفاء صح النكاح، وإن رضي أحدهما بغير كفاء دون الآخر فالنكاح باطل، وإن كثرت الأولياء لا بد من رضي الكل^(٣).

وقول نبي الرحمة (ﷺ): (إني مكاثر بكم الأمم، فلا تقتتلن بعدي) "يعني مغالب ومباهي بكم الأمم (فلا تقتتلن بعدي) والافتتال لا شك أنه يفضي إلى القلة، يفضي إلى القلة ضد الكثرة؛ لأن الافتتال نتيجة القتل، ولازمه غالباً القتل، والقتل لا شك أنه قضاء على الإنسان الذي يرحى منه مع طول العمر النسل الذي يحصل به النكاثر، لكن قد يقول قائل: إن هذا المقتول قد علم الله (جل وعلا) أنه يقتل، وأن هذا حتفه وهذه مدته انتهت فهل للنهي عن الافتتال أثر في المكاثرة وعدم المكاثرة؟ لا شك أنه من حيث الظاهر القتل قضاء على الإنسان الذي لو بقي هذا الإنسان لتزوج الزوجة والزوجتين والثلاث والأربع، وأنجب الأولاد، المكاثرة هذه هو لا شك أنه أكثر الناس تبعاً لني الرحمة: (ﷺ)، ومع الأسف أنه يوجد من يسخر من كثرة النسل، وني الرحمة (ﷺ) يقول: ((إني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة)) ويسخر من كثرة النسل ويقرن المسلمين في تكاثرهم وامتنال أمر النبي (ﷺ) بغيرهم من الأمم الكافرين الذين حددوا النسل وتفرغوا لتربية أولادهم مع الأسف ربوهم على الفجور، ويقول: تفرغ لتربية أولادهم، وأنتجوا وغلّبوا المسلمين في مخترعاتهم وفي صناعاتهم، فإذا كانت هذه النظرة إلى الحياة وكان المنظور إليه والهدف من وجود الناس هو مسألة إقامة الحضارة وعمارة الدنيا فقط هذا إشكال كبير، هذا خلل في التصور^(٤).

والجن والإنس إنما أوجدوا للهدف الأعظم والأسمى وهو تحقيق العبودية لله (جل وعلا)، أما أن يقال: لا يتزوج لأن التربية صعبة، أو يحدد النسل من أجل أن يسيطر، هناك ناس ما عندهم إلا ولد واحد، وضائق الدنيا بهم بسببه وهو واحد، وبعض الناس عندهم ما شاء الله عدد كبير يصلون إلى الأربعين والخمسين وتجد جلهم صالحين، وخير من يعينك على تربية أولادك،

(١) البقرة: ١١-١٢.

(٢) بنظر: شرح المشكاة للطبي الكاشف عن حقائق السنن: ٧/ ٢٢٦٣.

(٣) شرح المشكاة للطبي الكاشف عن حقائق السنن: ٧/ ٢٢٦٣.

(٤) شرح سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، أبو عيسى الترمذي (المتوفى: ٢٧٩هـ)، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير: ٢٦/٢.

أولادك الكبار سيعينونك على تربية الصغار، ومع هذا يقول يطالب بعضهم حتى مع الأسف ممن ينتسب إلى طلب العلم بتحديد النسل نظراً إلى تحقيق رغبات وافدة وليست نابعة من بين المسلمين" (١).

المطلب الثاني

مقصد الحديث

أولاً: وإن التعليل المقاصدي لهذا الحديث هو حفظ النسل من جانب أو هو حاجيات حفظ النسل من جانب الوجود دلالة التكثير من النوع البشري من المسلمين لغاية عبادة الله (عز وجل) امثالاً لقوله تعالى: وما ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢)، نستنتج من ذلك أنّ التكاثر النسل للمسلمين في الطرق الشرعية مندوباً، وحثّ عليه الشارع الحكيم، فلذا فإن (طفل الأنابيب) (٣) مشمول بمعنى هذا الحديث ضمن ضوابط شرعية، منها: أن تكون هناك علة اصابة أحد الزوجين، كضعف الحيوان المنوي (٤) عند الرجل، أو انسداد قناة (فالوب) (٥) أو تشوه خلقي في الرحم (٦) عند المرأة، ولا يجوز صنع (طفل الانابيب) بناءً على الضوابط الشرعية وهي:

(١) شرح سنن الترمذي - عبد الكريم الخضير: ٢ / ٢٧.

(٢) الذاريات: ٥٦.

(٣) طفل الانابيب (In vitro fertilisation): الإخصاب خارج الجسم، هو تلقيح البويضة بالحيوان المنوي خارج جسم المرأة (الرحم) في أنبوب اختبار ولذا تم تسميته بطفل الأنابيب لأنه يتم إخصاب البويضة داخل أنبوب الاختبار هذا وذلك بسحب البويضة المكتملة النضج من المبيض وتوضع معها الحيوانات المنوية بعد غسلها، ثم يعاد زرع البويضة المخصبة (الجنين) داخل رحم الأم لاستكمال نموها. أنظر: موقع اطفال انابيب ويكيبيديا: <https://m.marefa.org> > simplified تاريخ الزيارة: ٢٤/٦/٢٠٢٢ الجمعة، الساعة ٣:٤٢ مساءً.

(٤) "الحيوان المنوي: الذي يقوم بتلقيح بويضة المرأة فيخصبها وينتج عنه الجنين فيما بعد. ولذا فقد عبر عنه لسان العرب بشكل واضح بـ "النطفة التي يكون منها الولد". وهذان اللفظان لهما ما يقابلهما علمياً في اللغة الفرنسية والإنجليزية أيضاً. فلفظ "المني" يقابله "sperme" التي تعني "سائل أبيض ينزل بالقذف يتكون من غدد جينية ذكرية وبه الحيوانات المنوية"، مقابلة الألفاظ القرآنية ذات المدلول الطبي بالمصطلحات العلمية: د. أكرم السيسى، (دون: ط)، (معاصر) ص: ١٨.

(٥) قناتا الرحم (قناتا فالوب): واحدة من كل جانب، والقناة عبارة عن أنبوب يصل ما بين المبيض والرحم يبدأ طرفه الواسع من جهة المبيض، ويحتوي هذا الطرف على أهداب تساعد على حركة البويضة إلى داخل القناة، أما طرفه الضيق فيتصل بالرحم من جهته العليا، وتتركب قناة فالوب من ألياف عضلية تساعد حركتها على مرور البويضة في القناة ودخولها إلى الرحم، وسميت بذلك: نسبة إلى عالم التشريح الإيطالي الذي اكتشفها. ينظر: كنوز في الرقية والطب النبوي كمال مختار إسماعيل: ٢٩٥هـ، وطرق الإنجاب في الطب الحديث وحكمها الشرعي: ١٤.

(٦) الرحم هو عضو عضلي أحواف ذو جدار ثخين ومتين.. وهو كمثري الشكل، ويتكون الرحم من جسم وعنق وكلاهما مكون من طبقات ثلاث: أولها من الخارج: طبقة البريتون التي تغطي جسم الرحم وشيئا من عنقه من الحلف، وثانيها الطبقة العضلية: وهي عضلات سميكة غير إرادية وتشمل في ذاتها ثلاث طبقات من الألياف وهي: أ - الطبقة السطحية: وأكثر أليافها طولية، ب - الطبقة المتوسطة: وأليافها مختلفة الاتجاهات وبعضها على شكل. ينظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن: ٢٧، وخلق الإنسان بين الطب والقرآن: ٤١.

تحديد النسل (ذكر أو أنثى) فهناك إجراءات عمليات تقوم بها مستشفيات خاصة تحدد النسل في رحم المرأة، وتحديد النسل يعارض قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلَكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٧﴾﴾^(١)، فإن الله عز وجل هو من يحدد النسل صدق جل جلاله قوله: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٤١﴾ أَوْ يُرْوِجُهُمْ ذَكَرًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾^(٢)، وهذه النوازل جديدة فإن مثل هذه النوازل معرفتها ضرورية وهامة للمسلمين عامة ولطلبة علم الشريعة خاصة، فإن معرفتهم بالموضوع وبمختمهم فيه يساعدهم على اختيار الحل السليم، الذي من شأنه يواجه مثل هذه المستجدات، وأرى أن البحث فيها ومعالجتها ضرورة للمسلمين بشكل عام، وللمسلمين الذين يعيشون في الغرب بشكل خاص لأن مثل هذه القضايا ربما تواجههم أكثر أو تدخل في حياتهم بشكل أوسع، بحكم أن بلاد الغرب تشهد تطورات علمية وتكنولوجية أكبر وأوسع من تلك التي في الدول العربية^(٣).

ثانياً: مراعاة أمر ولي الأمر إذا كانت فيه مصلحة للعباد في تكثير النسل وتحديده.

ويراعى في ذلك أمر ولي الأمر، فلو أمرت وزارة الكهرباء بترشيد الكهرباء لأصبح واجباً شرعياً لأن أمر الوزارة مناط بمصلحة أهل البلد، ولو أمر ولي الأمر بتحديد النسل لمصلحة عامة تنفع أهل البلد ويعاقب من خالف الأمر، فهنا يجب على الجميع في ذلك البلد اللجوء إلى تحديد النسل، تفادياً العقوبة وتأدية أمر ولي الأمر، فقد نصت القاعدة الفقهية أن: "تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة"^(٤)، "و لهذا يجب أن تكون أوامره وأوامر أولي الأمر والنهي موافقة لمصالح الرعية، لأن السلطان إنما أعطي السلطة لمصلحة العباد، صيانةً لدمائهم وأعراضهم وأموالهم، والرعية هم من كانوا تحت من ولاه الشرع رعايتهم والولاية عليهم، فيدخل في مفهوم الراعي، السلطان والقاضي، وسائر ولاية الأمور من سائر العمال والموظفين وكل من له ولاية على غيره، فمن يولى على الناس فعليه أن يحسن تصرفه معهم بحيث يحقق المصلحة لهم"^(٥).

أما ما يخص التكاثر الطبيعي فهو منحصر بالزواج بين المرأة والرجل بالصورة الشرعية، وهي عين معنى ما نص عليه الحديث المذكور الذي من نصه قول الصادق المصدوق (عليه السلام): (فإني مكاتر) ويعني أغالب الأمم السالفة في الكثرة بأمتي، وهو تعليل للأمر

(١) آل عمران: ٣٥ - ٣٦.

(٢) الشورى: ٤٩ - ٥٠.

(٣) ينظر: تأجير الأرحام في مرآة الدين الإسلامي: ميس شريف مصاروة، إشراف: د. أحمد قعدان، نبذة عن الكتاب: بحث تخرج ضمن مساق: حلقة دراسية - دين إسلامي، باقة الغربية، شعبان - ١٤٢٨، أيلول - ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨، ص: ٨.

(٤) إيضاح القواعد الفقهية لطلاب المدرسة الصولتية: عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي اللّحجي الحضرمي الشحاري، ثم المراوعي، ثم المكي (ت: ١٤١٠ هـ)، الطبعة: الثالثة ١٤١٠ هـ، ص: ٦٣.

(٥) ينظر: الوجيز شرح القواعد الفقهية في الشريعة الإسلامية: عبد الكريم زيدان، وأحد علماء أهل السنة في العراق، وأحد علماء أصول الفقه والشريعة الإسلامية، الناشر: مؤسسة الرسالة ناشرون - لبنان، الطبعة: طبعة جديدة منقحة ومصححة، ص: ٥٩.

بتزويج الودود الولود؛ وإنما أتى بالقيدين، لأن المرأة الولود إذا لم تكن بطبعها ودوداً لم تبقى نفس للرجل فيها ولم تكن هي ترغبه، والولود التي عرفت من قريبتها بهذا يحصل المطلوب وتحقق الغرض من الزواج، وفيه استحباب التزوج وإيثار الولود الودود على غيرها، وفضيلة كثيرة الأولاد؛ لأن بها يحصل ما قصده النبي (ﷺ) من المباهاة، وتظهر فائدة الخلق من العبادة، ويعرف القيدان بتجربة أقاربهم في حياتهم مع أزواجهن لأن الطباع في الغالب سارية من الأقارب فتنتقل من بعضهم إلى بعض^(١).

(١) ينظر: شرح الموطأ، مالك بن أنس الأصبحي المدني (ت: ١٧٩هـ)، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير: (١٣٧٤ - ١٩٥٥ هـ - ١٩٥٥ م)، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير: ٤٧/٩، وشرح المشكاة للطبي الكاشف عن حقائق السنن: ٧/٢٢٦٣.

إن من آثار حفظ النسل من جانب الوجود هو النكاح الذي هو غاية التكاثر ومن آثاره يتحقق المقصد في الآية الكريمة بقوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾^(١)، وقد شمل بحثي المتواضع أهمية التكاثر التي فيها يحصل التمردح بوفور الأولاد والنسل والتفاخر بالشرف والجاه على ضوء الشريعة الغراء والتعارف والتصاهر والتصاحب، فالنكاح متفق عليه شرعا وهو عادة منذ بدأ الخليقة، فهو دليل على الكمال، والصحة في الرجولة والذكورية.

وأشرت في بحثي على التعليل المقاصدي من أمر نبي الرحمة (ﷺ) من فائدة التكاثر الدنيوية والآخروية مبيناً أهمية النكاح المتأتي بالضوابط والأحكام التي أمر بها الشارع الحكيم، ولم يزل التناسل والتكاثر قائماً كعادة معروفة بين القبائل، ومن أهم ما فيه هو تكثير سواد المسلمين، ليصلوا القرى ويدخلوا في كنف الرضا المأمورين به شرعاً، وهو سنة مأثورة ونافعة من سنن المرسلين، ثابتة عند المتقدمين والمتأخرين من الموافقين والمخالفين، وله مصالح مهمة وعديدة لأجلها شرعه الله تعالى، وتكتمل مقاصده الأصلية بثلاث محاور:

أولاً: دوام النوع الإنساني وبقائه إلى أن تتكامل المدة التي قدرها الله (عز وجل)، وهذه المصلحة دالة على عظيم فضيلة النكاح، وكل الشرائع قد جاءت بتحصيل المصالح الدنيوية والآخروية.

ثانياً: إخراج ماء الشهوة الذي يضر احتباسه بالبدن وهذا فيه حفظ لصحة الإنسان وتحصيل الفائدة وتحقيق المصلحة في التكاثر وهذا مقتضى الرحمة التي تتضمنها حكمة الباري (عز وجل) في عبادته.

الثالث: نيل اللذة، والتمتع بالنعمة وقضاء الوطر.

وهذه هي الفائدة التي أوجزتها في هذه الوريقات.

وأخيراً أرجو من الله أن أكون قد وفقت في رحلتي العلمية المتواضعة وأن يكون هذا البحث بداية سديدة لدخولي في رحاب العلم من أبوابه الواسعة وأبتهل الى الله أن يمدني لطلب العلم بالتوفيق بما بدأت به في رحلة المقاصد الشرعية، فالعلم شرع أهل المعرفة ومنبع الخير كله...

وآخر ما ندعوه سراً وعلناً هو حمداً لله الواحد الديان..

(١) الحجرات من الآية: ١٣.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. إيضاح القواعد الفقهية لطلاب المدرسة الصولتية: عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي اللّحجي الحضرمي الشحاري، ثم المراوعي، ثم المكي (ت: ١٤١٠ هـ)، الطبعة: الثالثة ١٤١٠ هـ.
٢. تأجير الأرحام في مرآة الدين الإسلامي: ميس شريف مصاروة، إشراف: د. أحمد قعدان، نبذه عن الكتاب: بحث تخرج ضمن مساق: حلقة دراسية - دين إسلامي، باقة الغربية، شعبان - ١٤٢٨، أيلول - ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨ - ٨.
٣. سنن ابن ماجه: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: ٢٧٣ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
٤. سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩ هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
٥. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: ٧٤٣ هـ) تحقيق: د. عبد الحميد هندراوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٦. شرح الموطأ، مالك بن أنس الأصبحي المدني (ت: ١٧٩ هـ)، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير: (١٣٧٤ = ١٩٥٥)، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير.
٧. شرح سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة، أبو عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩ هـ)، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير.
٨. شرح مصابيح السنة للإمام البغوي: محمد بن عيسى بن عبد اللطيف بن عبد العزيز بن أمين الدين بن فرشتا، الرؤمي الكرماني، الحنفي، المشهور بـ ابن الملك (ت: ٨٥٤ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، الناشر: إدارة الثقافة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
٩. شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخرجه أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية بيومباي - الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بيومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
١٠. طفل الانايب (In vitro fertilisation): موقع: اطفال انايب ويكيبيديا: < <https://m.marefa.org> .simplified
١١. كنوز في الرقية والطب النبوي: كمال مختار إسماعيل: ٢٩٥ هـ، وطرق الإنجاب في الطب الحديث وحكمها الشرعي.

١٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
١٣. مصنف عبد الرزاق الصنعاني ويسمى، المصنف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي - الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣.
١٤. معرفة السنن والآثار: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُو جردى الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلججي، الناشر: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق - بيروت)، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة)، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.
١٥. مقابلة الألفاظ القرآنية ذات المدلول الطبي بالمصطلحات العلمية: د. أكرم السيسي، (دون: ط)، (معاصر).
١٦. الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.
١٧. الوجيز شرح القواعد الفقهية في الشريعة الإسلامية: عبد الكريم زيدان، وأحد علماء أهل السنة في العراق، وأحد علماء أصول الفقه والشريعة الإسلامية، الناشر: مؤسسة الرسالة ناشرون - لبنان، الطبعة: طبعة جديدة منقحة ومصححة.